

الفصل الثاني عشر

التعازيم والأوراد والرقى

ولم تتغير الأمراض كثيرا منذ أن عرفها الطبيب المصرى القديم، فقد واجه العديد منها وبرع فى وصف الدواء المناسب لها.

وتصنف الأمراض البشرية كمجموعات مختلفة طبقا للعوامل والمسببات المرضية، وآليات حدوث المرض، فهناك مجموعة الأمراض الوراثية الجينية التى يرثها الإنسان من أحد أبويه أو كليهما، والأمراض الصبغية أى الكروموزومية، والأمراض الميكروبية مثل الإصابة بالفيروسات أو الريكتسيات أو البكتيريا أو الحلزونية، وغيرها، والأمراض الطفيلية الناتجة من الإصابة بأحد الطفيليات مثل الديدان، والحشرات، والملاريا، والأميبيا... إلخ

أما الأمراض الناتجة عن تأثير الملوثات البيئية للغذاء والماء والهواء والتربة والأمراض الناتجة من سوء التغذية ونقص العناصر الغذائية فى الجسم كنقص المعادن والفيتامينات فمتعددة، وهناك أمراض التحسس الناتجة من فرط تحسس الجهاز المناعى للأجسام الغريبة الملامسة للجسم، أو الأمراض التى تهاجم الأنسجة عن طريق الهواء أو الغذاء أو الدم، وقد يختل الجهاز المناعى ويكون أجساما مناعية ذاتية، تذهب لتهاجم خلايا الجسم وتسبب التهابا وتلفا فيها، وينتج عنه مجموعة من الأمراض تعرف بأمراض المناعة الذاتية مثل مرض هاشيموتو، والذئبة الحمراء، وتصلب الجلد، والتهاب العضلات، والجلد... إلخ

والأمراض التى تنتج من الحوادث والإصابات كالكسور والتمزق، وقص الأربطة والأوتار، والأمراض التى تنتج من التعرض لعوامل فيزيائية كالحرارة مثل الحروق...

حالات مرضية متنوعة واجه الطبيب معظمها، واستعصى عليه البعض الآخر.

وكما ذكرت البرديات فإن اهتمام الطبيب لم ينصب فقط على العلاج بل كان أيضا رحيما بمرضاه:

«... اذهب للمريض ولا تتركه».

«... تابع المريض ولا تتخل عنه نظرا لإرهاقه».

وهذا ما كان الكاهن والساحر المصرى القديم يحققه من خلال الكلمات والأفعال، فكما ورد على لسان إيزيس من خلال الأساطير: «أنا إيزيس مالكة السحر، التى تعمل السحر، المؤثر بالحديث والكلمات».



إيزيس وأختها
نفتيس

تعتبر الكلمات ذات أثر فعال على البشر، ويخرج هذا المؤثر من طيات الوعي الداخلي فيشكل الأحداث طبقاً للإرادة، وهذا ما حققته إيزيس في مواجهة رع أى الشمس عندما عقره الثعبان وسرى السم فى جسده طبقاً للأسطورة. استمدت إيزيس من رع القدرة ثم تلت عليه الرقية التالية، طبقاً للأسطورة: «أخرج أيها اسم الزعاف من جسم رع. أخرجى منه يا عين حورس، وأضيئى من الخارج فمه. أنا إيزيس الساحرة التى تخرج السم من الجسم وتسقطه على الأرض، لقد استخلصت من المعبود الكبير اسمه السرى وسيبقى رع حياً، أما السم فسيموت، لأنه إذا عاش مات رع».

تعكس هذه الأسطورة الطاقة الحيوية الكامنة فى الشمس والمسؤولة عن استمرارية الوجود، ومنها استمدت إيزيس قدراتها على الشفاء، وهى كناية عن قوة الإرادة للشفاء التى يستمدتها البشر من الطاقة الرئيسية، ويترجمها الإنسان فى وعيه ويعكسها من خلال عمله.

ولجأ الطبيب إلى الرقى تدعيماً للعلاج فى معظم الأحيان ولدعم المريض ومساندته نفسياً كي يحفز لديه الرغبة فى الشفاء، وكان يستهل علاجه

بالتلاوة لما للكلمة من قدرة أكدها من خلال تصويره لعملية الخلق التى تمت بقوة الكلمة وترجمت الإرادة الداخلية للخالق فيستهل علاجه لأى عضو بجسم الإنسان بهذه الكلمات: «لقد خرجت من مدينة عين شمس مع الأقدمين فى المعبد أصحاب الوقاية وحكام الأبدية حقاً. لقد خرجت من صا الحجر مع أم الآلهة، لقد وهبوسى حمايتهم. لدى وصفات وضعها سيد الكون لطرده الأمراض التى يحدثها معبود أو معبودة أو رجل ميت أو امرأة ميتة... فى رأسى هذا وفى قفايا هذا، وفى كتفى هاتين، وفى لحمى هذا وفى أعضائى هذه ولعقاب رئيسهم المدعى الذى يدخل الفساد فى لحمى والضعف فى أعضائى هذه كشيء يصيب لحمى هذا ورأسى هذا وكتفى وجسمى وأعضائى. أنا أنتمى لرع الذى قال: سأنقذه من أعدائه وسيكون تحوت دليله، تحوت الذى جعل الخط يتكلم، ووضع الكتب ووهب مهارة الشفاء للماهر وللأطباء المرافقين له، أنا محبوب الإله، أنا الذى سيبقيه حياً».

ولا تحتاج هذه الكلمات لتعليق سوى أنها تؤكد إيمان الإنسان بقدرة الخالق وبعمل الطبيب الذى يستمد علمه من خالقه، وليس هذا بعيداً عن كثير من المفاهيم الحالية.

وتذكر بردية إبيرز، بخلاف الرقية السابقة هذه الرقية التى تتلى قبل شرب الدواء: «تعال أيها العلاج، تعال أيها المطارد للأشياء الخبيثة من معدتى هذه، ومن أعضائى هذه كرها عكسياً، ألا تعلم أن حورس وست أدخلها المعبد الكبير فى عين شمس عندما حدثت

المفاوضات بخصوص خصيتى ست، وأنه سيشفى مثل أى إنسان على الأرض، هو يفعل مثل الآلهة هناك». تتلى عند شرب الدواء، عظيمة حقيقة ومؤكدة مرات عديدة».

يمزج الطبيب المعلم العلم بالإيمان كى يؤثر العلاج ايجابيا ويؤتى مفعوله، ولا يلغى أبدا أحدهما الآخر، وينطق هذه الكلمات التى تنبع من الوعى ينتقل مفعولها للعالم الحسى، فالكلمات هى المعبر بين الوعى والواقع الملموس، وبمزج قوة الإرادة مع الاقتناع المطلق بنجاح المطلب، تكتسب النتائج والمقدرة على العمل، فالكلمات ما هى إلا إحدى الأدوات، على نفس مستوى الدواء للشفاء.



صورة لتمثال استخدمه المصرى القديم للتبرك به

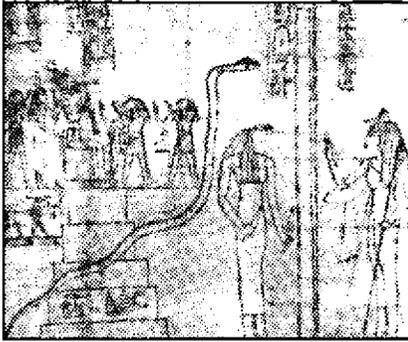
ومن المعتقدات الشعبية السائدة على مر العصور التاريخية لدى العامة أن شرب الماء بعد صبه على تماثيل توضع لهذا الغرض داخل المعابد له القدرة على الشفاء من بعض الأمراض، إنه نوع من التبرك يندرج تحت مسمى المعتقد الشعبى الذى انتشر ومازال منتشرًا لدى البعض، فالعلم يجاوزه المعتقد السائد بين فئات محدودة الأفق.

تنتقل الكلمات من العقل الباطن وترجم بنتائج حسية ملموسة ترجع فى الواقع لفعل الخالق، فالكلمات تخلق نوعا من الاستقرار الداخلى لدى كل من المريض والطبيب وتمنح كليهما قوة داخلية فعالة تجدد طاقته وتساعد فى الحصول على النتائج المرجوة.

وانطلاقًا من هذا المفهوم أجاد الطبيب نسبيًا فى علاج بعض الحالات العصبية التى أطلق على بعضها «حمى فى القلب»، أو فى مواضع أخرى «جفاف فى القلب»، أو «انحسار العقل»، أو «سقوط القلب»، كما وصف بعض الحالات الهيسستيرية التى تصيب النساء نتيجة لآلام فى الرحم أو حالات الاكتئاب مثل السيدة التى تنام فترات طويلة ولا تقوم عنه، والطرق العلاجية المتبعة لا تختلف كثيرا عن العلاجات الحديثة.

وتصاحب الرقى الدواء والتي يمارسها الطبيب الذى يتلو هذه الكلمات قبل رفع الضمادة: «لقد فككت إيزيس المفكوك، لقد حررت حورس من الأضرار التى الحقها به أخوه ست عند قتل والده أوزيريس. يا إيزيس يا كبيرة السحر، حررينى! أنقذينى من كل ضرر وشر وخبيث ومن المحن التى يجلبها إله أو آلهة، أو رجل متوفى أو امرأة متوفاة، من عدو يعترضنى ذكرا كان أم أنثى كما فككت وحررت ابنك حورس، لأننى دخلت النار وخرجت من الماء، لن أقع فى شرك هذا اليوم، ها قد تكلمت وأنا شاب يا رع نادى صلك! يا أوزيريس نادى من خرج منه! لقد أنقذتني من كل ردىء وخبيث».

كانت معلومات الطبيب العلمية، بالرغم من تقدمه العلاجي، محدودة، إذ إنه يعلل مصدر بعض الأمراض ويفسرها على أنها قوى معادية، فلم يخطئ كثيرا إذا ما استعرضنا نتائج المرض، ولكن جهله بمصادر بعض الأمراض أرجعته للتفسيرات المحدودة التي ذكر بعضها. ولكن سلوك المصرى بصفة عامة جعله يضع للمجتمع، من خلال الأساطير، نماذج يحتذى بسلوكها وتعتبر كمصدر تعليمي للتصرف السليم تجاه المواقف، فكما تولت إيزيس مهمة مداواة رع أو حورس طبقا للأساطير المختلفة، يتولى الطبيب هذه المهمة ويستلهم الحافز من رموزه. واعتبر المصرى الحكا أو السحر قوى طبيعية قام بتجسيدها فى شكل آدمى وفسر من خلالها معنى الوجود.



تظهر الحكا إلى أقصى اليسار مجسدا فى شكل آدمى يقف خلف أوزيريس بجوار ماعت، بردية محفوظة حاليا فى المتحف البريطانى وترجع لعام ٩٥٠ ق. م، وهى بردية جنزيرة تخص الأميرة نسييت عا نبت إبشرو، والماعت هى رمز الحق والحقيقة والعدالة، والحكا تعكس مفهوما حيويًا بالنسبة للوجود. لقد برع المصرى فى تجسيد المعانى المطلقة كى يتفهمها العامة من الناس.

وهنا يبرز تساؤل مهم، وما هو الحكا؟ وخير دليل على معنى الحكا هى هذه الأوراد التى عثر عليها منقوشة على غطاء أحد توابيت الدولة الوسطى: «أنا من أوجده الخالق قبل ظهور الازدواجية فى الوجود. أنا ابن من أوجد الوجود... أنا الحامى لكل ما نظمه الخالق... أنا من منح الحياة للتاسوع الإلهى... لقد جننت لاحتلال مكانتى واحترامى، لأن الكون كان ملكى قبل وجودكم أيتها الآلهة. لقد وجدتم بعدى لأننى الحكا أى السحر».

أنا آتوم فى قمة قوته، أنا مقدره وإمكانيات كل الموجودات، هذه، لقد كنت متوحدا مع آتوم عندما كان وحده يطفو على النون، المياه الأزلية قبل أن تضع قواه فى خلق الكون. حماية سحرى وهى أقدم وأعظم من كل القوى مجتمعة». كتاب الموتى إن وجود الحكا قبل الخلق والخليفة يجعل منه «الطاقة الحيوية المانحة للحياة» التى تولدت لدى

الخالق ولازمته قبل الخلق، وبذكره الأسماء وجد الوجود.

وتذكر بردية إيبيرز تأكيدا لهذه العقيدة: «يا إيزيس يا عظيمة السحر فكى قيودى، خلصينى من كل سوء وضرر واثم، ومن نقمة المعبود ونقمة المعبودة، ومن ضرر الميت ومن ضرر الميتة، ومن ضرر العدو أو العدو الذى يمكن أن يعترضنى».

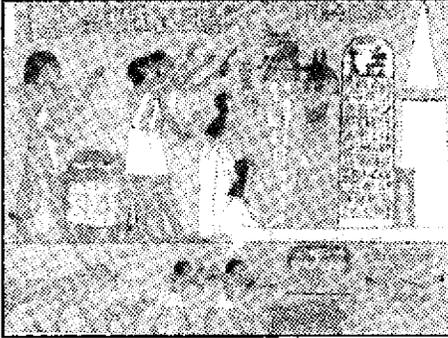
وكان مطلبًا حيويًا للبعض أن يمتلك المقدرة على إحداث ما هو غير مألوف، فتذكر نصوص المؤامرة التى حدثت ضد رمسيس الثالث: «وعندما طلب بن هوى بن، المشرف على القطيع،

امنحنى القوة والقدرة، منحه لفافة سحرية خاصة برمسيس الثالث، فبدأ يمارس السلطة السحرية الإلهية على الشعب».

استعمل النص هنا كلمة السحر لبيان السلطة والبطش.

وآمن المصرى، كما ذكر أعلاه، بوجود قوى معادية تحاول أحيانا النيل من الأفراد. لذا ظهر بخلاف الطبيب كل من الكاهن والساحر، ولكن مهمته لا تخضع للمفهوم الحديث للكلمة، بل تتعداها إلى مفهوم راقى الدلالة أحيانا ومخالف لهذا أحيانا أخرى.

والهدف الأسمى كان محاربة الأعراض المرضية، فالريض طبقا للمفهوم المصرى. كان فى حاجة للحماية من القوى الخفية المعادية، فكان السبيل لهذا هو الدعاء أو الحماية بكلمات توجه للآلهة، أو للرموز التى ابتدعتها لتجسد المعانى المختلفة، وهى فى الواقع تعبر عن الإرادة فى الشفاء، وهذه الإرادة بصورة أو بأخرى تؤثر تأثيرا فعلا يقود إلى الشفاء الحقيقى أحيانا، وهنا تكمن قوة الكلمة المؤثرة على الإرادة لكل من الطبيب والريض.



بردية حونفر ترجع للأسرة ١٩ قرن ١٥، غالبا ما عثر عليها فى منف، حيث تمارس طقوس فتح الفم للمتوفى من خلال كلمات وتعاويذ خاصة.

لذا يكرر الطبيب المعلم فى بردياته هذا التأكيد: «إنها رقية عظيمة حقا، تأكدت مرات عديدة»، ويصاحب الدواء الرقى.

«القد خف الحمل وذهب الإغماء الذى وضعته الدودة فى بطنى، الشىء الذى خلقه الله وذنسه العدو، ولكن الله يشفى ما أحدثه فى بطنى هذا».

تعكس هذه الحالة وهذه الرقية معرفة الطبيب بسبب المرض، ولكن الإيمان بقدرة الخالق إيمانا فطريا يترجم بهذا الشكر، ويمتزج العالمين معا: العالم المادى والعالم الروحانى

ليحدثا معا التوازن أو الماعت. «إذا فحصت إنسانا مصابا بمرض فى فم معدته، وتعتريه آلام فى ذراعه وفى صدره وفى جانب من إقليم معدته، ويقال له مرض واز، فقل إن هذه الحالة نتيجة دخول شىء فى فمه وأنه مهدد بالموت».

آمن المصرى بأن الموت حق، فقد لمس الطبيب أبعاد المرض، الذى حدده د.حسن كمال باحتمال حالة ذبحة صدرية، وبالرغم من تشخيصه بأن المريض مهدد بالموت، وصف العلاج وتابعه حتى «يتسرب المرض للشرح والمستقيم، ولا أكرر الدواء مطلقا». ولكن الطبيب علل حالة لم يدرك أبعادها تماما بالآتى:

«إذا فحصت شخصا مصابا بمرض في فم معدته وبضمور في جسمه ، وبوقوعه تحت تأثير السحر ، وإذا فحصته ولم تجد مرضا في بطنه ، ولكن حنوت جسمه مثل بيت ، فقل له إن هذا انحلال داخلي».

أما الدواء فهو الهمايتيت المصحون مع بذر كتان وحنظل وتغلى في زيت وعسل ويأكله المريض على أربعة أصبحة إلى أن يروى ظمأه ويتخلص من انحلاله الداخلي.
وصف الطبيب المريض بأنه مصاب بسحر ، وتعكس الكلمة هنا معنى أن مصدر المرض غير معلوم أو مفهوم ، فهو سحر؟

وترجع شهرة الكهنة في شؤون السحر نتيجة لتوصلهم لعلوم الكيمياء والطبيعة ، والرياضيات ، واحتفاظهم بشكل حصري لهذه المعلومات ، فكانوا هم فقط من يمارسها.
واحتفظ بهذه المعلومات داخل أسوار المعابد ، فاعتبرت معلومات سرية ومدعاة للانبهار من العامة ، فعرفت بالسحر وعرف الكاهن الممارس بالساحر ، وكان الكهنة في حالة استنباط مستمرة لتقنيات متعددة يؤديونها بمصاحبة طقوس خاصة تضيء على ما يؤديه الغموض والرهبنة ، مما جعل منهم في منظور الأغلبية فئة السحرة.

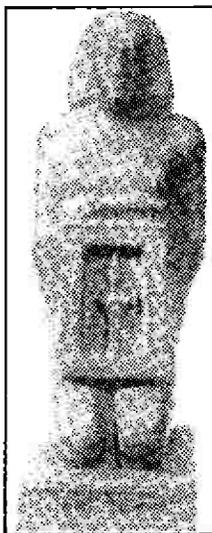


ماسك من الرقائق الذهبية لخج إم واست

ويعتبر خج إم واست ، كبير كهنة بتساح في منف ، أول كاهن ساحر وطبيب الذي لجأ إلى التعاويذ والأوراد في العلاج طبقا للأفانيس المنسوبة إلى العصر المتأخر.
و خج إم واست هو من أشرف على بناء السيرابيوم في منطقة سقارة ، وهو ابن رمسيس الثاني وإيزيس نوفرت إحدى زوجاته.

ويحكى عن هذا الأمير ، من خلال حدودته مدونة ، ولعه بالسحر الذي دفعه إلى البحث عن كتاب تحوت المتخصص في هذا المجال ، وعلم أنه في مقبرة نين كا بتساح التي استدل عليه في منف ووجد الكتاب بالداخل يشع نورا وعندما

حاول الإستيلاء عليه هبت روح صاحب المقبرة وزوجته للدفاع عن الكتاب السحري الخاص بتحوت والذي يمنح حائزه القدرة على سحر السماء والأرض ومعرفة لغة كل الطيور والحيوانات.
وتسرد القصة العديد من الأحداث ، ولكن يبقى تطلع الإنسان لأبعد مما لديه فيبحث ، من خلال السحر ، على وسيلة للسيطرة على الأمور. ولم يتغير السلوك البشرى كثيرا.
وذكر بعض التعاويذ للحماية من أهم ما يمارسه الكاهن ، فهناك تعاويذ لطرد المرض ، وتعاويذ أخرى للحماية من الأعداء ، وتعاويذ لتفادي لدغات الحشرات والضارة وخلافه.



تمثال لأحد الكهنة
يحتضن بيت الحياة

إن الساحر أو الكاهن ما هو إلا همزة وصل بين رغبة الآلهة والواقع ، وهو نوع من القوة النفسية التي يكتسبها الفرد فى مواجهة القوى الخارجية التي تتعدى قدراته الدفاعية ، فالإنسان فى حاجة مستمرة للشعور بالاطمئنان والأمان وهذا ما كان يوفره هذه النوع من العلاج الذى يمارس بصفة عامة داخل بيت الحياة أو بر عنخ الملحق بالمعبد.

وبر عنخ كما وصفته إحدى البرديات يتكون من فناء فسيح يحتوى على تمثال لأوزيريس يتطلع لعلامة الحياة عنخ ، ويقف تمثال أوزيريس على تابوت يحرسه من الجهات الأربعة كل من إيزيس ، نفتيس ، حورس وتحوت.

وقد عثر على بعض البرديات فى طيبة ، الأقصر تحتوى على نصوص مدونة تهدف لحماية الأفراد من الأمراض كان يسجلها الكهنة ويطلب من المرضى تعليقها حول الرقبة للحماية ، أى الحجاب.

وكانت هذه الممارسات تتم خلال عصور الاضمحلال عندما تعم الفوضى ويشعر الأفراد بعدم الاستقرار كما تعكس كلمات هذا الحجاب :

«نحن نحمل بورجو حور خونس ، والدته دجد خونس كاهنتنا ، سوف نحافظ على صحة جسدها وعظامها . سوف نفتح فمها حتى تأكل ونفتح فمها حتى تشرب ، وسوف نحميها من كل الأرواح الشريرة من الذكور والإناث الذين ينتمون للنهر والقناة والبئر والبحيرة . سوف نحميها من أى مرض فى القلب ، أى مرض فى الرئتين ، أى مرض فى المرارة ، أمراض الرأس ، أمراض الجوف... سوف نحميها من الاكتئاب أو أى مرض . سوف نحميها من النجوم الشريرة والنجوم التي تحمل الأمراض...».

يقابل هذا السلوك الذى انتشر خلال العصر اليونانى الرومانى ممارسات الطبيب العملية .

فى حالة حرجة مثل كترأكت العين أو المياه البيضاء

أوصى الطبيب فى بردية إيبيرز بهذه الرقية كى «تتلى على ملاكايت مسحوق فى غسل ويصحن مع حب العزيز ويوضع على العين ، مفيد حقاً» . احضر يا ملكيت ، احضر يا ملكيت ، احضر أيها الأخضر ، احضر يا إفراز عين حورس ، احضر يا إفراز عين آتوم ، احضر أيها الإفراز الخارج من عين أوزيريس ، احضر إليه واطرد منه الماء والمادة والدم وضعف الإبصار والعمى والعشى وتقرح

الأجفان والإصابات التي سببها معبود أو رجل متوفى أو امرأة متوفاة وكل أنواع الالتهاب وكل شيء داخل هاتين العينين».

كان الكاهن على دراية بحقائق الكون وعلم الخلود، فعرف كيفية نقل الوعي من العالم الحسى أو المادى لدرجات أعلى بنسبية متدرجة للوصول إلى أعلى مراتب الروحانية.

فالطاقة الحيوية المتواجدة في الكون تمثل له مجموع طاقات تسيير وتدور في هذا الكون بسرعات متفاوتة تسمح بتشكيلات مختلفة للمادة أو للمواد الكونية المتفرعة منها، مما أوجد نوعا من التفاعل بين هذه المواد محسوسا ولكن غير مرئى. تفاعل يحكمه قوانين الطبيعة التي توجد الصلة بين كل ما هو طاقة مادية مشكلة أو طاقة روحية محسوسة وغير ملموسة والتي أطلق عليها المصرى القديم مسمى neteru وهي تعنى المقدس وترجمت خطأ بالإله والآلهة.

ونقل المصرى القديم، من خلال مفاهيمه، العالم المادى الجامد إلى عالم متحرك ينبض بالحياة فالأشجار، والنبات، والصحور، والشمس والقمر والنجوم طاقات متحركة لها مؤثراتها المتنوعة فى البشر وفى الجسم البشرى. فكل الأشكال الكونية، طبقا لتعاليم تحوت هى تجسيد لخصائص نفس المصدر بأشكال مختلفة. ولجأ الكاهن للطاقة الكهرومغناطيسية، مما ترجم خطأ بالسحر وهو فى الواقع كيمياء تتفاعل من خلاله العناصر بدرجات نسبية، وأكثر الطاقات سرعة موجودة ولكن غير مرئية، وتتواجد مع الجسم البشرى عند الولادة وتؤثر هذه الطاقات فى الجسم.

اعتقد المصرى بأن الجسم البشرى يتأثر بالعالم الخارجى: السماء والنجوم والأشكال أى الطاقات غير المرئية، ويتأثر بالعناصر المكونة للتربة، لذا لزم مداواة الجسد. مما أكسب السحر، أو الشىء غير المعلوم، أشكالا أبعدته عن مفهومه الرئيسى، فكثرت الممارسات غير السوية أحيانا تحقيقا للمفهوم الأساسى.

وتتلى هذه الرقية لمنع الحدأة من السرقة: «يا حورس وقعت سرقة فى المدينة وفى الحقل، أن عطشه مركز فى غيط الطيور هو سوف يطبخ ويؤكل، يتلى هذا على فرع السنط وتوضع عليه خمس كعكات من نوع فكا، هذه هى طريقة منع الحدأة من السرقة».

تفاعل الطبيب مع الطبيعة واستنتج أن الحدأة تبحث عن الطعام، وحفاظا على حقله منحها ما تتطلع إليه حتى يحمى ما له وهو سلوك اجتماعى مطلوب فى العديد من المجالات، ولكن هذه العملية فى التصرف لم تمنع المصرى من أن يذكر فى بردية لندن:

«كان العثور على هذا الكتاب فى الليل بعد سقوطه فى فناء معبد خميس كعلم سرى خاص بهذه العبودة، على يد الكاهن المقرئ لهذا المعبد. نعم لقد كان الكون فى ظلام دامس وكان القمر ساطعا على كل جانب من هذا الكتاب، أحضر هذا الكتاب كمعجزة لجلالة الملك خوفو».

يلجأ الإنسان للقوى الخارقة وينسب لها أفعاله كى يزيد من اقتناع العامة من الناس بما يؤدى، لقد سيطر الكهنة على الجموع بهذا الإيحاء المستمر من أن أصل الأشياء يرجع

للقوى الخارقة ، واحتفظ لنفسه بالكثير ولكن دون فى البرديات المختلفة معظم نتائج فكره وأبحاثه العلمية ، كما أورد أيضا تعاويذه والرقى التى يرضى بها ميول البشر وتطلعاتهم الروحانية ، ورث الإغريق الذين عايشوا هذه الوثائق فى مدرسة الأسكندرية هذه المعلومات ، واعتبروها أسسا لعلمهم تولوا مهمة توضيحها تارة وتطوير محتواها تارة أخرى ثم نشرها فى العالم الأوروبى وهذه رسالة الإنسانية التى بدأت على أرض مصر نظرا لاستقرارها ونظمها الاجتماعية والجغرافية ، ثم تناقلها الإغريق مع التطوير ، وتناولها العلماء فيما بعد ، ومازالت البحوث والتطوير مستمرين فى معظم المجالات.

فمن أورد تعريفا للأعصاب والأوعية كان أراستراتوس الذى نهل من علوم الأجداد فى مدينة الأسكندرية ، لقد عالج الطبيب المصرى على المستوى العملى الأعراض والأمراض ، وطورها بعد تحديد مفاهيمها وتعريفاتها من خلفهم مثل هيروفليس الذى أوضح بصورة أشمل العلاقة بين المخ والحبل الشوكى والجهاز العصبى وقام بقياس النبض مع عده الذى بدأه الطبيب المصرى كما أوردنا من خلال البرديات ، وأفاض فى شرح العين واتصالها بالمخ عن طريق العصب الذى حدده الطبيب المصرى فقد ذكر أوعية الجسم المختلفة :

«هناك وعاءان فى صدره هما اللذان يسببان حرقة الشرج».

هناك وعاءان فى ثديه هما اللذان يسببان سخونة دبره».

هناك وعاءان بفخذيه ، وهناك وعاءان فى قفاه ، فإذا مرض قفاه وضعف نظر عينيه فقل إن هذا بسبب أوعية قفاه التى تقبلت الأرض».

«هناك وعاءان فى ذراعيه ، هناك وعاءان فى مؤخرة رأسه ، وعاءان فى جبهته ، وعاءان فى عينيه ، وعاءان فى حاجبيه ، وعاءان فى أنفه ، وعاءان فى أذنه اليمنى ووعاءان فى أذنه اليسرى».

«تذهب كل هذه الأوعية إلى القلب وتتفرع فى الأنف وتتلاقى فى دبره ومرض الدبر يخرج منها إنها المواد البرازية التى نحملها».

«إن أوعية الرجلين هى التى تموت أولا».

وذكر الطبيب على المستوى العلمى والروحانى معا هذه الحالة :

«حالة أنفريزما شريانية وريدية *anevryisma arteriovenosum* ، تعاليم خاصة بورم الأوعية بالطبقات الجلدية لأى عضو ، ومظهره يكبر لالتفافه كالحية وأوعيته كونت عقدا كالشئ المنفوخ هواء ، ... لا تضع يدك على مثل هذا الشئ ، فإن ذلك يضر عضو الإنسان ، وهذه هى رقيته الناجعة : اخرج يا وعاء شرتيو ، أى الضفيرة الوريدية السطحية *Superficial venous plexus* ، الذى يحدث النبض فى وسط هذه الأعضاء ، لأنك متصل باتصالات خونس ، إذا فحصت ورم خونس.... اجعلنى أحضر هدايا قربانية إلى رع فى الصباح ، تتلى أربع مرات».

ومن الممارسات الشائعة تلك التلاوات على الكيل عند تحضير الدواء: «أيها الكيل الذى أكيل به الدواء، أنت الكيل الذى أكال به حورس فضيلته، كان مقياسا سليما، عاش بصحة وسلامة، سيكال هذا الدواء بهذا الكيل ليطرد جميع الأمراض التى فى هذا الجسم».

وتعتبر هذه الكلمات، بخلاف طلب مباركة الرموز لما يقوم به الطبيب، الدقة فى أداء العمل «هذا المقدار هو الذى أعده حورس، هو الذى كالت به إيزيس وحضرته لابنها حورس لإسهال الجسم وإنزال المرض من الجسم».

خاطب الكهنة جموع الشعب من خلال الأساطير والروايات لتعليمهم بعضا مما توصلوا له من العلم، وبطرق محسوسة وسهلة حاولوا نشر بعض التعاليم السليمة وسط الجموع، فكانت أولى الخطوات نحو التعليم، ولمعرفة الكهنة بالطبيعة البشرية، وبالرهبة الفطرية من المجهول، أوجدوا الرموز المقدسة لدى العقليات التى تحبو نحو الحياة والمعرفة، وأكسبوا هذه الرموز جوا من القدسية من خلال الممارسات الطقسية والأوراد والرقى «رقية تتلى على الزيت عند وضعه فى جميع الأدوية: السلام على عين حورس ورنوتت ورأس حرحوتب، ليظهر رع أمام التاسوع! لتخرج إيزيس ولتمنح الفرخ أمام جب! وليقاتل المرض ويحمى المريض من الشبح القاتل، القاتل، القاتل! أنا تحوت هذا والحكيم هذا لعين حورس المناضل لأجل لأبيه أوزيريس أمام نيت صاحبة الحياة... لأننا حفظنا التعازيم...».

وهناك العديد من الرقى الماثلة التى تتلى على العناصر الدوائية مثل العسل والبيرة... إلخ، كى تؤتى مفعولا مرجوا بهدف شفاء عاجل، وهناك نوع آخر من الرقى للأمراض الصعب علاجها طبيا مثل حالات بعض أمراض العين، والصرع، وعمى الليل، ولإبعاد الدم، وضد البلهارسيا، ورقية لسحب الدم، ورقية لإبعاد السحر، وضد تقيح الحروق، وأمراض ذكر اسمها ولم يستدل بعد على ترجمة مناسبة لهذا المسمى: حوم كوت، ستا، تنتعمو، سمن... .

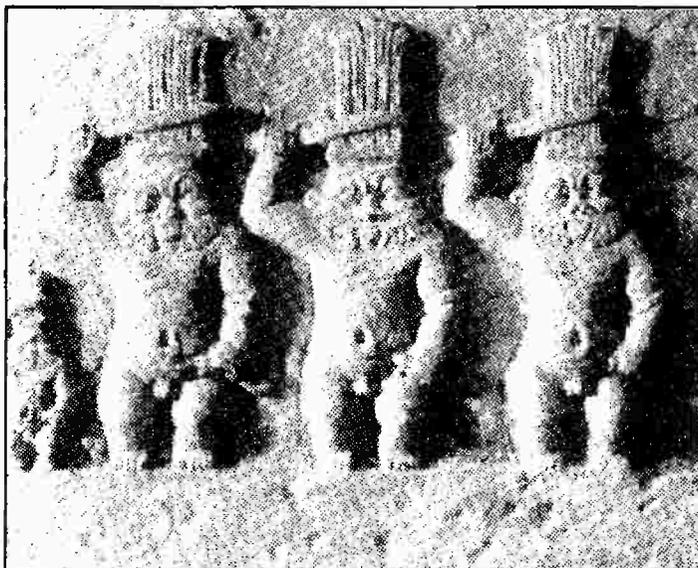
وذكرت معظم هذه الرقى فى بردية لندن التى ترجع إلى الأسرة التاسعة عشرة بعد عهد رمسيس الثانى مع بدايات التخلخل فى المجتمع المصرى.

وللرقى هدف آخر ورد ببردية اليونان المحفوظة حاليا بمتحف لايدن تمارس مع أدوية ووصفات علاجية لجذب قلب الرجل والمرأة، ولجعل المرأة تحب زوجها، ولتحبيب المرأة فى معاشرة زوجها ومن أجل هذه الأهداف مارس بعض الكهنة أعمالا متنوعة، ليس فقط بهدف العلاج الطبى، ولكن لمنح وتسهيل المخارج للأمور الحياتية المختلفة.

وخير دليل على ممارسة هذا العمل من قبل الكهنة الصندوق الذى عثر عليه داخل الرامسيوم، ويرجع للدولة الحديثة، ويحتوى على أجزاء من برديات ذات مضمون عقائدى، وبعض التعاويذ وأشكال العرائس التى تستعمل فى السحر، كذلك تمثال صغير لرمز التهجين بس وهو يحمل بعض الثعابين، وصل ملكى من البرونز وخلافه.

وللكاهن الساحر بعض الطقوس لحماية المريض منها تصنيع تماثيل من الشمع، كما ورد في بردية سولت، يقوم بخزها بالإبر مع ذكر العديد من التعاويذ رغبة منه في قهر وقتل العدو سواء كان المرض أو عدو حقيقى يضمم شرا.

ولممارسة السحر وجهان أحدهما يهدف إلى تحقيق كل ما هو خير فى الحياة والبعض الآخر امتننه بعض ضعاف النفوس لتحقيق الأذى وإلحاق البعوض به. واستمرت هذه العادات حتى بدايات القرن العشرين لدى العامة بعضهم يسعى للشفاء أو تحسين أوضاعه أو درء أذى الآخرين، والبعض الآخر يسعى للتدمير وإلحاق الأذى، إنها ازدواجية الوجود التى آمن بها المصرى والصراع الأزلى للحياة بين الخير والشر.



بس يحمل السكين رمزا للقضاء على الشر وللحماية

ولكن ما يهم المريض فى المقام الأول هو الحصول على الشفاء، فكانت هذه الأوراد تعمل مع الدواء:

«تعال أيها الدواء، تعال يا من يقضى على الأشياء فى معدتى، وفى أطرافى».
وقبل المريض من أجل هذا الهدف الممارسات الأخرى التى انتشرت خلال العصور المتعاقبة، فسحمت، كانت تستدعى بالكلمات لمداواة الجروح والأمراض أحيانا، فللكلمة قوة الإرادة.
فللوقاية من الوباء تذكر هذه الكلمات: «أنا البعوض الخارج من مدينة بوتو يا سحمت الخارجة من مدينة عين شمس! أيها الرجال! أيتها الآلهة! أيتها الأرواح! أيها الموتى ابعدوا عنى أنا البعوض».



سخت

وتتلى الرقية التالية على ريشتي نسر يضعها الشخص على جسمه لحمايته من الأوبئة: «رقية ضد وباء هذا العام إذا ما هب كل ريح سىء: يا حورس يا حورس كن حول كل لحمى طول حياتى على رغم إرادة سخت».

وهنا يذكر صاحب الرقية الهواء حامل الوباء، مما يعكس معرفة الجميع، وليس الطبيب فقط، بكيفية انتشار الأوبئة. ذكرت فى بردية سميث مع رقى أخرى: رقية لطرد الهواء الموبوء ولطرد شيطان المرض والأرواح الشريرة ورسل سخت: انسحبوا يا شياطين المرض فالهواء سوف لا يصلنى، كل من يمر بى سيمر بى دون أن يضرنى، فأنا حورس الذى يمر بمرض سخت، أنا حورس سليم رغم إرادة سخت، أنا الوحيد ابن باسطة سوف لا تميثنى».

وشياطين المرض سا هي إلا مسببات المرض المجهولة بالنسبة للطبيب والمريض، أما سخت فقد تعطشت لدماء البشر طبقا

للأسطورة، كناية عن حدة حرارة الشمس خلال دورتها الصيفية مما تسبب فى وفاة البعض، واعتبرت سخت مسؤولة عن الأوبئة التى تنتشر بسبب حرارة الجو، ولكن بعقل المصرى الراجح لمس الجانب الإيجابى للحرارة فجعل من سخت من تعرف أيضا كيف تشفى الأمراض وتحمى الأطباء، لقد جسد المصرى بصفة عامة الفكرة وجعل منها رمزا عرفه الجميع، ولكن كل على قدر استيعابه فسر أبعاد هذا الرمز.

وتؤدى هذه الرقية، المشار إليها أعلاه، خلال الدوران حول المنزل ويحمل قارئ الرقية خلال دورانه قطعة خشب دس.

ووردت فى بردية سميث رقية ضد الحمى الوبائية: «أنا الواحد السليم فى طريق كل من يمر بى، هل أصعق وأنا سليم؟ لقد شاهدت الكارثة الكبرى، أيتها الحمى لا تهاجمينى، فأنا الواحد الذى خرج من الكارثة ابعدى عنى».

تعكس هذه الكلمات الضعف الإنسانى والخوف من المرض ومعاناته، فمن المعروف انتشار بعض الأمراض الوبائية فى مصر القديمة، ومن المسلم به أيضا أن الفطرة إحدى السمات الملازمة للإنسان الذى لا يتغير كثيرا، فالطبيعة البشرية لا يغيرها شيئا.

يتلو قارئ هذه الرقية الكلمات وهو ممسك بزهرة مربوطة مع قطعة من الخشب بشرط من الكتان يمررها على الأشياء ليبعد الوباء ويمنع شياطين المرض عن الغذاء وعن فراش النوم.

«رقية لطهارة كل شىء من الوباء: إن رسلك قد أفنوا يا سخت، إن شياطين المرض التابعين لك قد تقهقروا يا باسطة، العام يمر على العام بلا أية كارثة، لن يصلنى نفسك. أنا حورس فوق

مرضى سخمت، أنا حورس التابع لك يا سخمت، أنا وحيدك يا بوتو، لن تميّنتى لن تميّنتى، أنا المرح أنا المهلل. يا ابن باسطة لا تنزل على. يا ساكن سبسبو لا تقربنى، لا تقربنى، أنا الملك وسط ملجئه».

ورقية أخرى يؤديها قارؤها وهو ممسك بزهرة شمس فى يده: «إن زهرة شمس فوقى، هى بعض أتباعك، المرضى يتجنبونى وشركك المنسوب يتجنبنى، أنا هارب من بين طيورك يا حورس، أنت معافى على الرغم من سخمت، أنت حول كل لحمى مدى الحياة». من المؤكد أن المصرى عرف المزايا العملية لهذه الزهرة وقدرتها على منحه مناعة ما ضد المرض، فكل ما ورد من رقى ما هو إلا صراع مع الطبيعة الذى يعتبر القاعدة العلمية الأولى لإيجاد الحلول العملية فالشخص يتوجه من خلال الكلمات إلى القوى العليا التى لا يدركها محاولا السيطرة عليها فتفاديا لأنها، إنها خطوة عملية نحو اكتشاف ما هو أبعد من إعلانه عن خوفه ورعبه من المرض، يدخل الإنسان فى تفاعل مع كل ما هو غير محسوس ويقوده الخوف الشديد ليطلب الحماية من القوى الروحية الغامضة والمجهولة بالنسبة له، ويؤدى به هذا التفاعل إلى إيجاد توازن وحلول لإعادة نظام الكون ودرء خطر القوى المعادية، التى هى الأمراض فى هذه الحالة.

فلطرد المرض الآسيوى هذه الرقبة: «من الذى يعرف مثل رع؟ من الذى يعرف مثله؟ الذى يملأ الجسم بالفحم إلى أن يمتلىء. وكما أن ست سحر البحر، فإنه سوف يسحرك، أيها المرض الآسيوى لا تدخل. لا تدخل جسم فلان ابن فلان.

«وتتلى هذه الرقية أربع مرات على زيت طازج وعلى خبز القمح، سوف تطرده بذلك، ويعمل حجاب من شتوت» بردية هيرست.

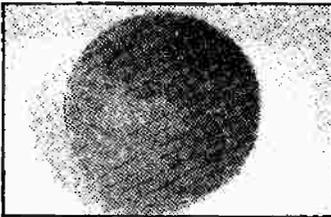
ويتحدث المريض لمحدث المرض فى حالة إصابته بمرض مشبنت: «أخرج أيها الدخيل بلا رجعة، أيها المهاجم لى دون أن تكون يدك على، ابعده عنى راجعا. أنا حورس، ابعده عنى فأنا ابن أوزيريس، ان سحر والدتى يحمى جسمى فلا ضرر يدخل جسمى ولا مشبنت يدخل جسمى. ابعده عنى، تكرر سبع مرات».

تتلى هذه الرقية عنى نبات زعتر بعد طبخه وصحنه. بردية هيرست. وعند وضع الأدوية على كل أعضاء الجسم، حقيقة ناجعة: «أنا خرجت من مدينة صا الحجر مع أم الآلهة وهم منحونى حمايتهم. أنا دعوت الرب الكلى ليزيل التأثير الآتى من... الموجود برأسى وفى ذراعى هذه، وفى أعضائى هذه، وفى أجزاء جسمى هذه لأعاقب رئيس الذين أدخلوا المرض فى أعضائى هذه. حينئذ قال رع أنا أحملك من أعدائه فهو مثل تحوت الذى صنع الكلام المكتوب وألف كتابا يهب العلم للعلماء والحكماء أتباعه ليعملوا به، فالشخص المحبوب عند ربه يحظى بالحياة، وأنا أحد المحبوبين عند الله ولذلك سينعمنى بالحياة».

ولاعتقد البعض في تأثير الموتى وقدرتهم على إلحاق الأذى بالأحياء، وانطلاقاً من المفهوم المصرى بأن الموت امتداد للحياة، لوجود حياة للروح بعد الموت، كان من الطبيعى أن ترسل خطابات لبعض الأقارب من الأموات لطالبتهم بوقف الأذى الواقع عليهم من أفراد آخرين، وهذا نوع من التواصل بين الحياة والموت الذى ترجمه المصرى بتقديمه للقريبين فى المعابد لروح الموتى كى يتسنى لها الحياة فى البرزخ.

ومن الخطابات الرسالة للموتى هذه الرسالة المرسله من زوج إلى زوجته المتوفاه، الأسرة الحادية عشرة، وهو مكتوب على إناء من الفخار أحمر اللون بالخط الهيراطيقى: «لقد حضرت إلى قبرك هذا ولم تكن عندك ضغينة ضدى. فإن كانت جروحي هذه حدثت وأنت عليمه بها، فالمنزل وأولادك فى شقاء، وإن كان ما حدث رغماً عنك فوالدك رجل عظيم فى قبره. وإن كان فى نفسك ضغينة ضدى فإنسيها رافة بأولادك... ارحمىنى... إرحمىنى ترحمك آلهة (تاودد)».

ويعكس هذا التصرف حالات نفسية لها دلالتها مما يستلزم تدخلا ما كان يؤديه عامة، ليس السونو أو الطبيب ولا كهنة سخمت، بل الطبيب الروحاني أو الكاهن. ويؤكد الطبيب نب آمون هذا عندما استدعته زوجة لعلاج زوجها، وكانت هذه الفئة من الأطباء الروحانيين تحمل سلة تحتوى على بعض العقاقير اللازمة للرقى، والطين لتشكيل التماثيل الصغيرة والشمع أيضاً، وبعض النباتات الجافة والرطبة طبقاً للحاجة ومداد أسود وآخر أحمر وبعض الأقمشة.

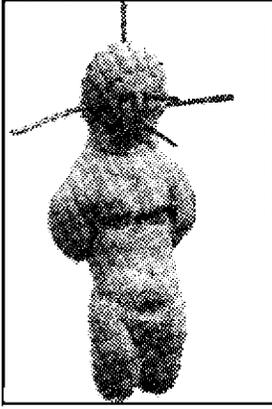


يحفظ هذا الإناء فى متحف بتري، لندن

ويرجع الخطاب التالى، الذى دون بالخط الهيراطيقى، للأسرة السادسة، وقد عثر عليه داخل إناء من الفخار أحمر اللون خلف رأس المتوفى، وهذا الخطاب منقوش على ظهر الإناء ويحفظ حالياً فى University college London، وهو موجه من ابن لوالدته: «من شسى يخاطب والدته آى. هذه تذكرة شفوية بحقيقة ما قلت لابنك: احضر لى سمانا آكله، وقد أحضر لك الابن سبع سمانات أكلتها. هل يرضيك أن يصيبنى أذى وأنت موجودة. الأطفال خاصمونى وأنا ابنك

أصب لك ماء الطهور. احكمى بينى وبين سبك حوتب، لقد نقلته لهذه الجبانة كى يكون بين ملاك قبره وجهزت له الكفن فلم يقوم ضدى ولم أفعل له مكروها. والظلم لا ترضاه الآلهة».

وقد عثر على خمسة عشر خطاباً موجهين للموتى من أقربائهم الأحياء خلال الدولة القديمة حتى أواخر الدولة الحديثة، مما يعكس إيمان المصرى القديم القوى باستمرار الحياة بعد الموت.

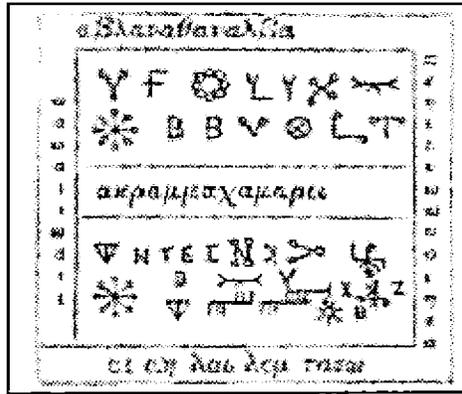


نموذج من التيراكوتا يخزن
بالدبابيس مع ذكر الأوراد
والتعاويذ لقهر العدو سواء
كان مرضاً أم شخصاً يضر سواً
أو غيره من القوى العادية

ويشير خطاب آخر، موجه من الابن إلى والده: «إن ابنك سبك
حطب جلب على كل هذا الظلم، مع أنك قلت في دنياك أن كل
أملاكك تؤول من بعدى إلى ابنى شبسى. اسمع لقد اغتصب حنو ابن
شير أرضى الزراعية. اسمع إنه معك الآن فى جبانة واحدة حاسبه
قضايا. أن كتية المحاكم فى الجبانة التى أنت مدفون فيها».
أما هذا الخطاب، فيرجع إلى الأسرة الثانية عشرة، وهو خاص
بخادمة الأسرة المريضة. وتعاتب الزوجة زوجها المتوفى: «من
ديدى إلى الكاهن انتف ابن أو نخت بخصوص الخادمة اميو
المريضة. أنت لا تدافع عنها ليلا ونهارا ضد روح أى رجل أو
امراة تسبب لها الضرر.

ولأى سبب ترغب أن يهمل منزلك هكذا؟ اسع من أجلها من
جديد حتى تستتب أمور المنزل ويتيسر صب الماء الطهور لك،
إذا لم تقدم هذه المساعدة، فإن منزلك سيتحطم». ألا تعلم أن هذه
الخادمة تقوم بخدمة منزلك؟ اسمع من أجلها، راعها، خلصها
من روح أى رجل أو امراة تقصد إيذاءها حتى تستتب أمور منزلك
وأمر أطفالك. اللهم اجعله يسمع».

إن البشر مازالوا يمارسون نفس هذه العادات، فنجد أن أهل المتوفى، وخاصة فى الغرب
يقفون أمام القبر ويوجهون حديثهم إلى أقاربهم المتوفين يشكون همومهم أو يعتذرون عما بدر منهم
من سوء خلال حياتهم.



تعويذة ترجع إلى العصر اليونانى، قرن ٤ أو ٥ ميلادى لها
القدرة على التغلب على من يمكر سواء كان عدواً أم مرضاً

ولم تنتقل المعلومات والممارسات الطبية فقط للعصر اليوناني الروماني، بل تعدتها إلى الممارسات الخاصة بما اصطلح على تسميته بالسحر وهو في الواقع تسخير قوى وقدرات الطبيعة لهدف سامي وهو درء الخطر عن الإنسان، هذا الخطر القادم من العناصر الطبيعية المعادية أيا كان كنه هذا العنصر أو طبيعته فللكلمة والإرادة القدرة على قهره.



الكلمات التي تصاحب هذا التمثال الصغير، ٨ سم، والذي يرجع للعصر اليوناني الروماني تستعطف القوى العليا كي تجعل شخصا محمدا يقيم بحبها، نشرت في BIFAQ. un charme d'amour Egyptien d'époque Gréco Romaine.

تعددت هذه الممارسات خلال العصر اليوناني الروماني نقلا عما كان يحدث في مصر خلال العصور المختلفة، فهناك خطاب يرجع إلى الأسرة التاسعة عشرة دون على ورقة بردي من قبل زوج فقد زوجته وكتب هذا الخطاب بعد وفاتها بثلاث سنوات: «إلى روح عنخ رع المجيدة. أى سوء عملته لك حتى أصبح في هذه الحالة السيئة، ماذا فعلت لك؟ لقد وضعت يديك على مع أننى لم أسبب لك أذى.

منذ زواجنا إلى يومنا هذا، ماذا فعلته لك حتى أخفيه عنك؟ أخبريني ماذا فعلت؟ كل ما فعلته أنت هو أنك أجبرتيني أن أقدم هذا الإتهام ضدك، ماذا فعلت لك؟ سوف أشكوكي بكلمات صادرة من فمى أمام آلهة الآخرة وحينئذ سوف يحكم بيني وبينك فيما هو مكتوب فيها.

لقد تزوجتك في شبابي، وكنت رفيقك طيلة قيامي بأعمال ووظائفى، لازمتك دائما ولم أهجرك، لم أسمح لحزن أن يصل إلى قلبك. فعلت كل هذا

في شبابي عندما شغلت المناصب الرئيسية بالسراى دون أن أهملك. كنت دائما أقول كانت دائما معى، هكذا كنت أقول كان كل إنسان يأتيني أمامك أمتنع عن مقابلته قائلا سوف لا أعمل إلا ما يتمشى مع رغبتك، والآن أنت لا تسمحين لقلبي بالراحة. سأحتكم إلى القضاء المقدس وحينئذ يظهر الحق من الباطل. إلا فاسمعى، عندما كنت أعلم الضباط الفروسية وفن الحرب فى جيش ملك مصر، كنت أجعلهم يرتمون على بطونهم احتراما لك، لقد أحضرت كل طبيب لك ولم أخف عنك شيئا فى حياتك. لم أسبب لك ألما فى أفعالى، عاملتك معاملة الرجل النبيل لزوجته. لم أهملك كما يفعل الفلاح عندما يدخل منزلا آخر، لم أسمح لرجل بأن يلحق بك أذى فى كل أفعالى نحوك. وعندما عينونى فى وظيفتى الحالية، لم أستطع السفر إلى الخارج كما اقتضاه واجبى، كنت أحضر لأفعل لك كل ما هو مطلوب من شخص مثلى فى منزله. لقد قدمت لك كل

أدھنة التجميل وكل ما احتجت إليه، ملابسك أحضرتها لك، لم أضعها في مكان لا يليق بك قائلا السيدة هناك، هكذا قلت، لم أهملك، وهناك أمور أخرى فعلتها لك ولم تعرفيها. هأنذا أرسل لك لأخبرك بما أنت تفعلينه لى. لما مرضتى أحضرت لك كبير الأطباء ليعالجتك. فعلت كل شيء طلبته منه، وذلك عندما كنت تقولين له افعل كذا.

وعندما صحبت الفرعون فى رحلته للسودان، وكنت مريضة، مكثت معك ثمانية أشهر لا آكل ولا أشرب كما يأكل الرجال... ثم طلبت الإذن من فرعون فسمح لى بالعودة من حيث كنت. بكيت بكاء مرا أنا وأهلى أمام الحى الذى كنت فيه، أحضرت كفنك من الكتان، وأحضرت ملابس كثيرة لك، لم أقصر فى أى شيء طيب نحوك. والآن اسمعى مضت على ثلاث سنوات وأنا وحيد لم أدخل بيتنا، مع أن هذا لا يجدر بمثللى أن يفعله. اسمعى فعلت هذا من أجلك اسمعى أيضا أنت لا تعرفين الجيد من الردى،، سوف يكون حساب بينى وبينك، اسمعى إن الأخوات فى المنزل لم أتصل بواحدة منهن».

يعكس هذا الخطاب بعض الجوانب الاجتماعية والسلوكيات التى لم تتغير كثيرا فى المجتمع المصرى. لقد وصف الفلاح بتعدد زيجاته وبرز من خطابه الطبقة الاجتماعية التى ينتمى إليها والسلوكيات الحميدة التى يتمتع بها الزوج نحو زوجته، واللجوء للطبيب عند المرض. لم يتغير المجتمع كثيرا، فالموظف يسخر مرؤوسيه ويتبع تعليمات رئيسه فى العمل.

وقد عايش المجتمع سلوكا آخر، بخلاف الخطابات للموتى، يعتبر علاجا نفسيا فى معظم الأحيان، فقد اعتاد البعض النوم فى فناء المعبد حتى يحلم أحلاما تفسر عن طريق الكاهن طبقا لمعايير مدونة فى كتاب خاص بتفسير الأحلام وهو ما يعرف حاليا بـ Psychotherapy، وقد اعتاد من يرغب فى تفسير أحلامه طلب تفسير فئة عرفت بمسمى حر شستا أى كاتم السر. ومن أشهر الأحلام ما نقش على لوحة الحلم التى تسرد حلم تحتمس الرابع والمتواجدة حاليا بين أرجل أبو الهول.

«عندما كان صاحب الجلالة لا يزال فى سن الصبا مثل الطفل حورس فى خميس، كان جماله منذ ذلك الحين مماثلا لجمال أبيه... إن الجيش والأبناء الملكيين والأشراف جميعا مغتبطون لما يكونون من حب سوف يفيض قوة عندما يجدد مداره، لأن قوته سوف تشبه قوة ابن نوت.

«إنه يمضى وقته فى الترفيه عن نفسه فوق ربوة منف الصحراوية وعلى دروبها الجنوبية والشمالية، فيصوب نحو الهدف سهاما نحاسية، ويخرج لصيد الأسود وحيوانات الصحراء، أو يتجول بعريته ذات الجياد الأسرع من الريح يتبعه رجلان دون أن يعرفه أحد. وعندما تحين ساعة الراحة يتوقف عند حورس فى الأفق، أى أبو الهول، أو بالقرب من سوكر فى روستاو، أو بالقرب من رننوت التى ترمز للحبوب ام تاو رثيت، فى أعلى النهر. أو بالقرب من موت، سيده الجدار الشمالى والجدار الجنوبى، أو من سخمت التى تشرف على شؤون خاس ومن

ست وحكاو، أو بالقرب من مكان المرة الأولى البهى بجوار خير عحا، وهو طريق الآلهة فى اتجاه الأفق الغربى لمدينة هليوبوليس.

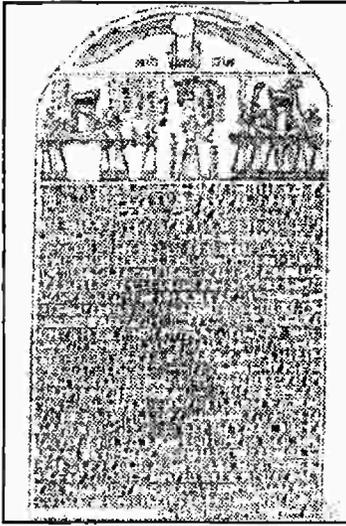
«وصوب تمثال خبرى، أى أبو الهول، فائق الضخامة والذى يقبع فى هذا المكان، ذو القيمة الهائلة والمكانة المقدسة والذى يقع عليه ظل رع، تتجه معابد منف نحوه، وسواعدها محملة بالقرابين الفاخرة من أجل الكا، أى روحه، ويكثرون من التسبيح والتهليل.

«وحدث ذات يوم، بينما كان الابن الملكى تحتشم فى نزهة ساعة الظهيرة، أن استراح فى ظل هذا الرمز العظيم، فأخذته سنة من النوم بينما كانت الشمس فى سمتها. فلاحظ أن أبا الهول، يتحدث إليه بملء فمه، مثلما يحدث الأب ابنه قائلا: انظر إلى، تأملنى يا ولدى تحتشم. أنا أبوك حورس فى الأفق، خبرى، رع، آتوم، سوف أمنحك ملك الأرض على الأحياء. وتلبس القاج الأبيض والتاج الأحمر على عرش جب. أى الأرض، وستكون لك الأرض بطولها وعرضها وكل ما تضيئه العين المتألقة لسيد الكون. ما يقدمه الطين من طعام فهو لك، ولك أيضا أهم أنواع الجزية التى تقدمها كل البلدان الأجنبية وحياة مديدة طويلة السنوات. وجهى يتجه نحوك، وقلبى يتجه إليك. أنت لى الحارس والدليل أنت الذى يبقى فى الدائرة الخاصة باختيار أعضائى. هاك الآن رمال الصحراء تعذبنى، هذه الرمال التى كنت أرقد فوقها من قبل. أسرع نحوى حتى تستطيع إنجاز كل ما أبتغيه. إنى أعرف أنك ابنى، فأنت ابنى وحارسى، اقترب منى، أنظر. ها أنذا معك وسأكون مرشدا لك».

«عندما فرغ أبو الهول من كلامه، استيقظ الابن الملكى. وفهم آنذاك هذا الحلم... وحفظ كلام أبى الهول. ووضع الصمت فى قلبه قائلا: هيا فلنسرع إلى قصرنا بالمدينة لإعداد القرابين التى سنأتى بها لهذا الإله: ماشية وخضراوات ونباتات غضة من مختلف الأنواع. وسوف نثنى على الذين كانوا يعيشون من قبلنا ونهل لهم».

وكما استغل الكهنة قوة الكلمة لتحفيز الرغبة فى الشفاء لدى المريض، لجأ البعض لنفس المفهوم لتحقيق الولاء والرضا عن السلوك، فاللجوء للقوى العليا يمحى القلق والخوف ويزرع فى النفوس الرغبة فى الشفاء من ناحية وفى الإستقرار والقبول بما يمنح أو يقدم من ناحية أخرى. فطبقا للعقيدة المصرية القديمة أوجد الخالق الوجود بالكلمة التى استشعرها فى قلبه ونطقها لسانه، ويعتقد الكثيرون من سكان الهند فى المانترا بقدرة الكلمات وتأثيرها على النفس. كما تحتوى العديد من نصوص الهندوس وأهل التبت بالكلمات والإيحاءات التى تهدف للنجاح والشفاء ونشر السلام وتفادى الحروب.

وامتد سلاح الكلمة للمايا فى أمريكا الجنوبية طلبا لحماية الآلهة والقضاء على الأمراض، ولم يختلف الأفارقة عن سواهم الذين أوجدوا من خلال قوة الكلمة القدرة على الشفاء من الأمراض وإيجاد نوع من الطب الخاص الذى يمكن من يمارس هذه الكلمات من العلاج الناجح.



لوحة توضح براعة الطبيب المصرى فى القضاء على الأمراض «معبد خنسو بالأقصر»

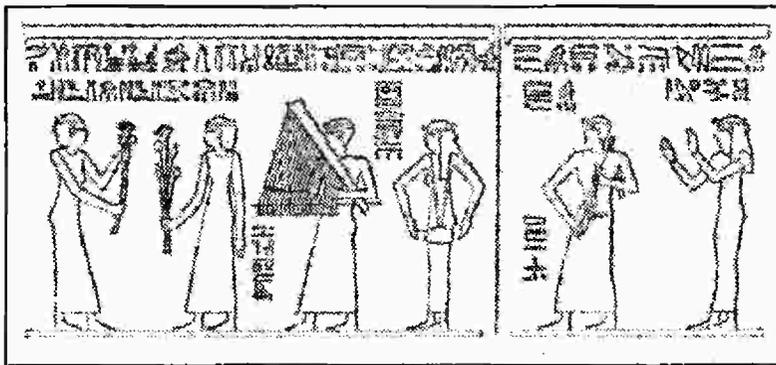
وطبقا لبعض الأساطير المسيحية ، فإن المسيح أوجد نوعا من الكلمات المناهضة للصحة ، كلمات تناقض العقل ولكنها صحيحة تمكن بها من إحياء الموتى وشفاء المرضى وإحداث المعجزات.

آمن كل من ذكر سالفا بسر كامن وراء الكلمات تمنحهم هذه القدرة والعلم الحالى هو الكفيل بتحديد ما ارتآه الأقدمون.

ويسجل لنا التاريخ براعة الطبيب المصرى التى توالى على مر العصور التاريخية ، وهذا التسجيل مدون على لوحة جنزية فى معبد خنسو بالأقصر تبرز القضاء على مرض أصاب بنترش ، أميرة بختن ، أخت إحدى زوجات رمسيس الثانى ويقال إن الشياطين تملكته منها ، ولكن الطبيب الذى أرسله رمسيس الثانى ، ويدعى تحوت إم حاب ، لجأ لخنسو الذى تمكن من مداواتها وتم شفاؤها.

ويثبت ما تقدم أن الطب المصرى القديم واجه مواقف مرضية متنوعة ، منها كما ذكر سيطرة الجان على بعض الأفراد ، ولكن قدرة الطبيب الإيحائية التى عرفت بقوة السحر الممنوحة لمثلهم قادرة على الشفاء ، وكان الطبيب على دراية ببعض المعلومات الخاصة بالجهاز العصبى ، ولكن القلب كان بالنسبة له مركز الإدراك والتفكير والإحساس.

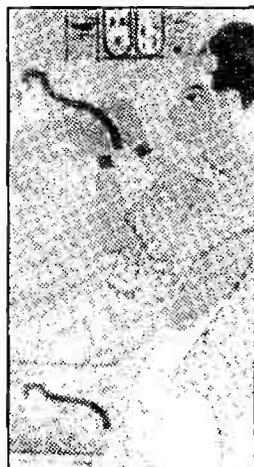
ولكن لم يكن هذا الأسلوب يضاهى نجاحات الممارسات الطبية العلمية السليمة التى كان يجيدها الطبيب المصرى منذ الأزل ، فقد لجأ الطبيب إلى العلاج بالموسيقى أحيانا.



الأطباء والعلاج الطبى بالموسيقى أحيانا



تصب المياه على التمثال
ثم تجمع في أحواض
يعرض لها المريض



آى، الدولة الحديثة،
القرن ١٦ بملابس الكهنة
يمارس طقوس فتح الفم
كما صورت على جدران
مقبرة توت عنخ آمون

كما لجأ الطبيب إلى التدليك كما هو مبين على جدران إحدى مقابر سقارة حيث يمارس الطبيب تدليك الكتف والركبة، وقد ورد فى بردية إيبيرز الكثير من المستحضرات التى تستعمل فى مثل هذه الحالات لتخفيف آلام المفاصل ولتدليك الجسم والأرجل المريضة، وتعرف هذه الطرق العلاجية حاليا Physiotherapy.

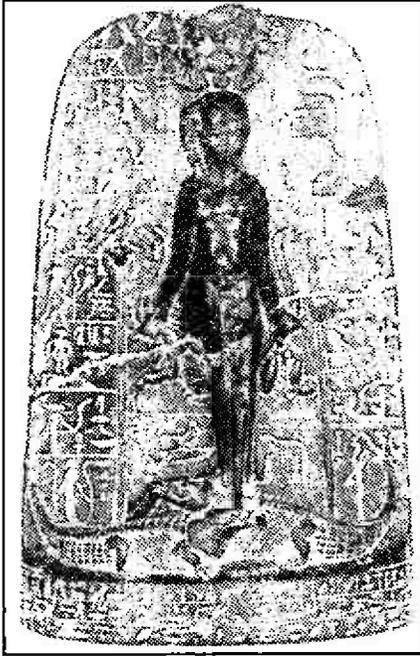
وكان الطبيب بعد تدليك الجسم المريض بالدهانات والزيوت، يعرضه لحرارة الشمس كما ورد فى بعض الحالات المدونة فى بردية إيبيرز. وقد استعمل الطبيب لتدليك الجسم الشحوم الحيوانية، والزيوت المختلفة مثل الخروع وزيت السمسم، وزيت القرطم، كما أوصى الطبيب فى بردية كاهون بدهان أرجل السيدة المريضة وتديكهما بالطين والطفلة. وورد فى بردية برلين أسلوبا مختلفا للتدليك: «بخور لإبعاد انقباض شق وجهه واعوجاج فمه: خشب خت دس، يبخر به المريض ويطفأ ببيرة عذبة ليفيض عرقا من نفسه ويدلك به». والحالة المشار إليها هى حالة شلل.

واستغل الطبيب الماء أيضا فى العلاج فيما يعرف حديثا Hydrotherapy، فملحوق بفناء معبد دندرة مصحة للاستشفاء تحتوى على حجرات مزودة بأحواض، ويصب الماء على تماثيل لتكتسب بعض القدرة الشفائية وتتجمع هذه المياه فى الأحواض ويعرض المريض للشمس والماء والهواء.

وقد مارس آى طقوس فتح الفم على مومياء الملك الشاب توت عنخ آمون باعتباره الكاهن الأكبر الذى يؤدى طقسا ينسب للسحر، إذ إن الكاهن بهذا العمل الرمزي يوهم بقدرته على منح الروح المقدرة على التحرك والأكل والشرب كما هو جار فى الحياة المادية. ازدوجت الطقوس مع الحقائق المادية للحياة وكلاهما معا شكلا العلم المكتسب الذى توصل إليه الإنسان الذى مارس ما اصطلح على تسميته بالسحر كنوع من الصراع مع الطبيعة. يتوجه الشخص من خلالها



أنوبيس، رمز التشريح الذي أجاده
المصري من خلال ممارسته للتحنيط.



ويظهر حورس وهو يدوس بأقدامه على أحد
التماسيح التي كانت كثيرا ما ترزع الأفراد، وحركة
وطأة القدم على الشيء تمثل الرغبة في درء خطر هذا
الشيء ومحاولة إبعاد الأذى الذي يصيبه

للقوى العليا المجهولة بالنسبة له، ولكنه أيضا
طبق العلم وكل ما هو عملي في الحياة كي يحيا
حياة صحية بجسم سليم وفكر ثاقب أشع على
العالم بالعلم والمعرفة.

واعتبر التطبيب والمداواة فنا يطبق على كل من
الجسد والروح والعقل أيضا. وكما اعتبر الإنسان
جزءا من الكون، فدواؤه أيضا من العناصر الطبيعية
متنوعة المصدر حيوانيا أو نباتيا أو معدنيا، فكان
العلاج يقتضى في بعض الحالات الامتناع عن
طعام ما أو الصيام أحيانا، وكان ينصح بعدم أكل
الخنزير وبعض الأسماك الملوثة، وهذا إجراء يحقق
التوازن الداخلى للجسم.

امتزج العلم مع السحر ومع الإيمان ليحسن
من الحياة العملية بكل أبعادها.

آمن المصري بإزدواجية الوجود وطبق إيمانه
هذا فى جميع أوجه حياته حتى فى مجال
الطب والشفاء، فقد لجأ إلى التطبيب بالعناصر
المادية المتواجدة فى الطبيعة، واحتتمى بالجانب
الآخر وهو الباطنى الروحى الذى يكمل الكيان
الآدمى، مما يعكس عمق تغلغل المصرى فى
التشريح الإنسانى. ومن الطبيعى والحتمى أن
تبدأ الأمور بدفعة قوية وهدف راق، ومن خلال
التداول تفقد بعضا من قوتها وتحيد قليلا عن
مسارها ولكن القوة فى الإصرار والمثابرة هى الطريق
الوحيد للاحتفاظ بما اكتسبه الإنسان.